

حكاياتُ دعوِيّة

(٤)

يا أعرابيُّ: أتدري من أنا

الدكتور

محمد عمر الحاجي



الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

يا أعرابي : أتدري من أنا؟!

في إحدى سَهَرَاتِ الشِتَاءِ الطويلةِ ، طلبتُ
(هدى) من جدّتها (أنيسة) أن تحكي لها..
ولإخوتها بعضاً من الحكايات التي تحفظها..

وبعد إبحارٍ وافقتِ الجدّةُ على الطَّلَبِ ، لكنْ
شريطةً أن ينتظرها الأولادُ حتى تؤدي صلاةَ
المغرب..

وتحلّق الأولادُ حولَ المدفأةِ.. وراحوا ينتظرونَ
حكاياتِ جدّتهم...

بعد قليلٍ ، انتهت الجدّةُ من الصلاةِ والدعاءِ
والذِّكْرِ ، ثم قامتْ إلى كُرْسِيِّهَا قُربَ المدفأةِ ،
وراحتْ تحكي للأحفادِ هذه الحكاياتِ الرائعةَ :

... في البداية يا أحبائي سأحكي لكم واحدة من
الحكايات التراثية ، والتي تحمل في طياتها
العظات والعبر...

خرج الخليفة العباسي (المهدي) في رحلة
صيد ، فلما ابتعد عن جنده وحاشيته... إذا بفرسه
يقع على الأرض... ، مما اضطر الخليفة لأن يلجأ
إلى خيمة أحد الأعراب... فرحب الأعرابي بالخليفة
وهو لا يعرف أنه الخليفة!

فقال (المهدي) : هل من ضيافة؟

فأخرج الأعرابي قزصاً من شعير ، فطرحه
للمهدي ، فأخذه المهدي وأكله ، ثم أخرج له فضلة
من لبن ، فأخذها وشربها ، ثم أتاه بنبيذ في ركوة
فسقاها ، فلما شرب قال للأعرابي : أتدري من أنا؟

نظر الأعرابي إلى الضيف... ودقق النظر.. ثم

قال : لا .

قال : أنا مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاصَّةِ .

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : بَارَكَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِكَ ..

ثُمَّ سَقَاهُ الْأَعْرَابِيُّ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

يَا أَعْرَابِي! أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟

قال : زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الْخَاصَّةِ .

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : لَا ، أَنَا مِنْ قَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ...

قال الأعرابي : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، وَبَلَّغَكَ مُرَادَكَ ،

ثُمَّ سَقَاهُ الثَّلَاثَةَ .

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : يَا أَعْرَابِي! أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟

قال الأعرابي : زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ قَوَادِ أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ...

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : لَا ، وَلَكِنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ!!

فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ الرَّكُوتَ ، وَوَضَعَهَا عَلَى الْأَرْضِ ،

ثُمَّ قَالَ :

إليك عني ، فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك
رسول الله!!!

فضحك المهدي حتى غشي عليه...

وبعد قليل أحاطت بالخباء الخيل ، ونزل إلى
الضيف الأمراء والأشراف..

ولما رأى الأعرابي ذلك علم أن هذا الضيف هو
بحق أمير المؤمنين ، فكاد قلبه يطير من صدره...
وتوقع أن تحل به عقوبة عظيمة و...

لكن المهدي قال له : لا بأس عليك ولا خوف... ،
ثم أمر له بكسوة ومال جزيل..

* * *

فَرَحُ الْبَطِّ عَوَامٍ!!

قالت (صفاء) لجَدَّتِها : أنا أحبُّ القصصَ
التراثيةَ ، وأَسَجَلُها على دَفْتَرٍ خاصٍّ

فَقالتِ الجَدَّةُ : هاتي أَجْمَلَ قصةٍ تراثيةٍ عندك
يا صفاء ثم أقرئها علينا... عسى أن تكوني في
المستقبلِ القريبِ من المهتمِّين بالأدابِ وعلومِها..

... أخرجتُ (صفاء) الدفترَ من حَقيبَتِها ، ثم
قَلَّبتُ بعضَ أوراقِه.. حتى وَصَلتُ إلى صَفْحَةٍ من
صَفْحاتِه ، ثم تَوَجَّهتُ نحو الصِّغارِ وقالت :

هل لديكم استعدادٌ للاستماعِ إلى واحدةٍ من
الحكاياتِ التراثيةِ ؟

وَأُنصَتَ الجميعُ إلى الحكايةِ التاليةِ :

كَانَ (المنصور) - الخليفة العباسي - مُعْجَباً
بمَحَادَثَةِ (محمد بن جعفر) .. ، وَلِعِظَمِ قَدْرِهِ يَفْزَعُ
النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ .

فَتَقُلُّ ذَلِكَ عَلَيَّ (المنصور) فَحَجَبَهُ مَدَّةً ، ثُمَّ لَمْ
يَصْبِرْ عَنْهُ ، فَأَمَرَ الرَّبِيعَ حَاجِبَهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ .
فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعْفِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَتَّقَلْ
عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ..

فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى الْبَابِ اعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قَرِيشٍ ،
مَعَهُمْ رِقَاعٌ^(١) ، فَسَأَلُوهُ إِصَالَهَا إِلَى الْمَنْصُورِ ،
فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ ، فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا .

فَقَالَ : اقْذِفُوهَا فِي كُمِّي ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ
وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ بِغَدَادٍ ، وَمَا حَوْلَهَا
مِنَ الْبَسَاتِينِ .

فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟

(١) مَا يُكْتَبُ عَلَيْهَا .

فقال له : يا أمير المؤمنين! بَارَكَ اللهُ فيما آتاكَ
وهَنَّاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ فيما أعطاكَ! فما بَنَتِ
العرب في دولة الإسلام ولا العجم في سالف الأيام
أَحْصَنَ ولا أَحْسَنَ من مدينتِكَ ، ولكن كَرِهَتْها في
عيني حَصْلَةً!

قال : وما هي؟

قال : ليست لي ضَيْعَةٌ فتبسَّم وقال : قد
حَسُنَتْها في عينِكَ بثلاثِ ضِياعٍ قد أَقْطَعْتُها!

فقال : لله دَرُكٌ يا أمير المؤمنين! إنكَ شَرِيفُ
المواردِ ، كريم المصادِرِ ، جَعَلَ اللهُ تعالى باقِيَ
عُمرِكَ أَكْثَرَ من ماضِيهِ ، ثم أَقامَ مَعَهُ يومَهُ ذلكِ .

فلما نَهَضَ ليقوم ، بدت الرِّقاعُ من كَمِّهِ ، فجعل
يردُّها ويقول : ارجعْنَ خائباتٍ خاسراتٍ ، فضحك
الخليفةُ وقال : بحقي عليكِ إِلا أَخْبَرْتَنِي وأَعْلَمْتَنِي
بخبِرِ هذه الرِّقاعِ .

فَاعْلَمَهُ ، فَقَالَ : مَا أَتَيْتُ يَا بَنَ مَعْلَمَ الْخَيْرِ إِلَّا
كَرِيماً ، وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ

يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا

تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا مَا فَعَلُوا

... ثُمَّ تَصَفَّحَ الرَّقَاعَ ، وَقَضَى حَوَائِجَ أَصْحَابِهَا

جَمِيعاً...

.. هَزَّتْ الْجَدَّةُ رَأْسَهَا فَرَحاً بِالْحِكَايَةِ الَّتِي أَلْقَتْهَا

(صَفَاء) .. ثُمَّ قَامَتْ إِلَيْهَا وَقَبَّلَتْهَا عَلَى جَبِينِهَا ، ثُمَّ

قَالَتْ : لَقَدْ صَدَّقَ الَّذِينَ قَالُوا : (فَرَحُ الْبَطِّ

عَوَامٌ !!) ..

* * *

.. لا أذنبها إلا إلى مُستَحِقِّها!!

وقال الأولاد للجدّة :

نريد أن تحكي لنا حكاية ثانية من حكاياتك
الرائعة...

فقلت لهم : انتظروني قليلاً ، فدخلتُ إلى
غرفتيها ، ثم أحضرتُ (الجوزَ واللوزَ والساكر) ،
ثم وزَّعتها عليهم.. ، وراحتُ تحكي لهم هذه
الحكاية التراثية :

... لما أرادَ امرؤُ القيسِ المضيَّ إلى قَيْصرِ ملكِ
الرومِ ، أودعَ عندَ (السَّمْوَعَلِ) دُرُوعاً وسِلاحاً
وأمتعةً ، تساوي جملةً كثيرةً .

فلما مات (امرؤُ القيسِ) أُرْسِلَ ملكُ كِنْدَةَ يطلبُ

الدروع والأسلحة المودعة عند السموع .

فقال السَّمُوعُ : لا أدفعها إلا إلى مُسْتَحِقِّهَا!

وَأَبِي أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئاً ، فَعَاوَدَهُ ، فَأَبَى
وَقَالَ : لا أَعْدُرُ بِذِمَّتِي ، وَلا أَخُونُ أَمَانَتِي ، وَلا أَتْرِكُ
الْوَفَاءَ الْوَاجِبَ عَلَيَّ!

فَقَصَدَهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ مِنْ كِنْدَةَ بَعْسَكَرِهِ ، فَدَخَلَ
السَّمُوعُ فِي حِصْنِهِ ، وَامْتَنَعَ بِهِ ، فَحَاصَرَهُ ذَلِكَ
الْمَلِكُ ، وَكَانَ لِلْسَّمُوعِ وَلَدٌ خَارِجَ الْحِصْنِ ، فَظَفِرَ
بِهِ الْمَلِكُ وَأَخَذَهُ أُسِيراً ، ثُمَّ طَافَ حَوْلَ الْحِصْنِ ،
وَصَاحَ بِالسَّمُوعِ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلَى
الْحِصْنِ ، فَلَمَّا رَأَهُ قَالَ لَهُ : إِنَّ وَلَدَكَ قَدْ أُسْرَتْهُ ،
وَهُوَ ذَا مَعِي ، فَإِنْ سَلَّمْتَ إِلَيَّ الدَّرُوعَ وَالسَّلَاحَ
رَحَلْتُ عَنْكَ ، وَسَلَّمْتُ إِلَيْكَ وَلَدَكَ ، وَإِنْ امْتَنَعْتَ مِنْ
ذَلِكَ ذَبَحْتُ وَلَدَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ! فَاخْتَرُ أَيُّهُمَا شِئْتُ...

فَقَالَ لَهُ السَّمُوعُ : مَا كُنْتُ لِأُخْفِرَ ذِمَامِي ،

وَأَبْطَلَ وَفَائِي ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتِ!

فَذَبِحَ وَلَدَهُ ، وَهُوَ يَنْظُرُ...

ثم لما عَجَزَ عن الحصنِ رَجَعَ خَائِباً ، واحتسبَ
السموعل ذَبِحَ ابْنَهُ ، وَصَبَرَ محافظَةً على وفائه .

فلما جاء الموسِمُ وَحَضَرَ ورثَةُ امرئ القيس ،
سَلَّمَ إليهم الدروعَ والسَّلَاحَ ، ورأى حِفْظَ زِمَامِهِ ،
ورعايةَ وفائِهِ أَحَبَّ إليه من حياةِ وَلَدِهِ وبقائه!!

وقال في ذلك :

وَفَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي

إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ...

* * *

ذكاء غلام!!

قال (علاء) : إذا سمحت لي جدتي فسأحدثكم
بقصة قصيرة ، جرت في العهود الماضية..
رحبت الجدة بذلك ، وقالت : هات ما عندك
يا بُني...

وراح (علاء) يقرأ من الورقة ما يلي :
رُوي أن غلاماً للحسن بن علي رضي الله عنهما
جنى جناية تُوجب العقاب...
فقال الحسن : اضربوه .

فقال الغلام : يا مولاي : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ
الْفَيْظَ ﴾^(١) قال : خلوا عنه .

(١) سورة آل عمران : /١٣٤/ .

فقال الغلامُ : يا مولاي : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ ﴾^(١) .

قال : قد عفوتُ عنك .

قال : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) .

قال : أنتَ حرٌّ لوجهِ الله تعالى ، ولكَ ضِعْفُ
ما كنتَ أُعْطِيكَ..

* * *

(١) سورة آل عمران : /١٣٤/ .

(٢) سورة آل عمران : /١٣٤/ .